أ. م. د. محمود اسماعيل
أستاذ الفقه المقارن
جامعة الجنان

رحلات الإمام الشافعي رحمه الله تعالى

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :

ما فـي المُقَام لذي عقـلٍ ولذي أدب ... مـن راحـةٍ فـدَعِ الأوطـانَ واغتـربْ
سافِـرْ تَجِـد عِوَضـاً عمَّـنْ تفارقُـه ... وانْصَبْ فإنَّ لذيذَ العيشِ في النَّصبْ
إنـي رأيـتُ وقـوفَ المـاءِ يُفسِـدهُ ... إنْ سـالَ طابَ وإنْ لم يَجْـر لم يَطِبْ
والأُسْدُ لولا فِراقِ الارضِ ما افترَسَت ... والسَّهـمُ لولا فِراقِ القَوسِ لمْ يُصِبْ
والشَّمْسُ لو وقَفَتْ فـي الفَلَك دائمةً ... لَمَلَّهـا الناسُ مـن عُجْم ومـن عَرَبْ
والتِّبْـرُ كالتُّـربِ مُلقَـىً فـي أماكنِـه ... والعُـوْدُ فـي أرضِـه نوعٌ مـن الحطَبْ
فـإنْ تغَـرَّبَ هـذا عَـزّ مَطلبـهُ ... وإن تغـرَّبَ ذاك عـزّ كالذَّهـبْ [1]

قرأت هذه القصيدة للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى فأثارت فـي نفســي إعجاباً بما تضّمنَتّه من معانٍ تدعو إلى السفر والضَّـربِ في الأرض وطلب الحركة وما ينتـج عنهـا من خير أو فائدة فقلت في نفسي هل كان كلام الشافعي رحمه الله نظرياً أم كان أمراً مارســه فــي حياته فخَبِـر نتائجَه وعالج أحوالَه فاحببـتُ أن أَتَتَبَّعَ رحلاتـه وتنقلاته في البلاد في أطـوار حياتـه وهل كانت هذه الرحلات علميـة أم هي رحلات للتَنَزُّه والتسليـة والاستجمام فكان هذا البحث.

١- جواهر الأدب في أدبيات وانشاء لغة العرب - أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي ت: ١٣٦٢هـ، أشرَف على التحقيق لجنة من الجامعيين، الناشر مؤسسة المعارف - بيروت.٢/ ٤٩٠- صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال - القاضي حسين بن محمد المهدي، سجل بوزارة الثقافة / اليمن / بدار الكتاب برقم إيداع ٤٤٩ لسنة ٢٠٠٩م، راجعه الأستاذ عبد الحميد محمد المهدي ١/٢٠٣.

نسبه:

هو الإمام العالم أحد أئمة الإسلام وفقهاء الأنام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم[١]

وشافع ابن السائب الذي ينسب إليه الشافعي لقي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مترعْرِعٌ. وأسلم أبو السائب يوم بدر وكان صاحب راية بني هاشم فأُسِر وفَدى نفسَه ثم أسلم.[٢]

فالشافعي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته، لأن المطَّلِب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم والشفا بنت هاشم بن عبد مناف أخت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي أم عبد يزيد جد الشافعي رحمه الله [٣]

أما أم الشافعي رحمهما الله تعالى فهي أزدية من الأزد قال أبو اليمن ياسين بن زرارة القَتْباني الحِمْيَري: لما قَدِم الشافعي مِصْر اتاه جدي وأنا معه فسأله أن ينزل عليه فأبى ، قال أريد أن أنزل على أخوالي الأزد فنزل عليهم[٤]

رحلة الشافعي إلى الحياة الدنيا - مولده

كان مولد الشافعي رحمه الله سنة مائة وخمسين من الهجرة في غزة من فلسطين من بلاد الشام وهو المشهور المتعارف عليه من مكان ولادته وهو المنقول عن عموم الذين ترجموا له رحمه الله تعالى.

قال محمد بن عبدالله بن عبد الحكم: قال لي محمد بن إدريس الشافعي رضي الله تعالى عنه: ولدت بغزة سنة خمسين يعني ومائة، وحُمِلتُ إلى مكة وأنا ابن سنتين.[٥]

غير أن هناك ممن ترجم له ذكروا أنه ولد بعسقلان: فقد ذكر الخطيب البغدادي وابن عساكر والحافظ الذهبي عن عمرو بن سواد قال قال لي الشافعي: ولدت بعسقلان فلما أتى علي

---

١ - طبقات الشافعيين- أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي ت ٧٧٤، تحقيق د. عمر هاشم، د. محمد عزب، الناشر مكتبة الثقافة الدينية- ١٩٩٣ م.

٢ - وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإدلبي ت ٦٨١هـ، تحقيق إحسان عباس دار صادر بيروت ٤/ ١٦٣.

٣- تاريخ بغداد وذيوله - الخطيب البغدادي - ت ٤٦٣ هـ دار الكتب العلمية- بيروت الطبعة الأولى ٢/ ٥٦ .

٤- تاريخ بغداد وذيوله - الخطيب البغدادي - ت ٤٦٣ هـ دار الكتب العلمية- بيروت الطبعة الأولى ٢/ ٥٦+ الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء- أبو عمر بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ت٤٦٣هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.١/ ٦٨.

٥- تاريخ بغداد ٢/ ٥٧- تهذيب الكمال ٢٤/ ٣٦١/ سير أعلام النبلاء - الذهبي ت٧٤٨هـ - دار الحديث القاهرة الطبعة ٢٠٠٦م. ٨/ ٢٣٨.

سنتان حملتني أمي إلى مكة [١]

وذكروا أيضاً رواية عن أبي عبيد الله بن أحمد بن عبد الرحمن بن وهب الوهبي أن أخي عبد الله بـن وهب قال سمعت محمد بن إدريس يقول : ولـدت باليمن فخافت أمي على الضَّيْعَةَ، وقالت إلحق بأهلك فتكونُ مثلهم، فإني أخاف أن تُغلب على نسبك، فجهزتني إلى مكة فقدمتها وأنا يومئذ ابن عشر أو شبيه بذلك، فصرت إلى نسيب لي وجعلت أطلب العلم يقول لي : لا تشتغل بهذا وأقبل على ما ينفعك. فجعلتُ لذَّتي في هذا العِلم وطلبِه حتى رزقني الله منه ما رزق.[٢]

فهذه ثلاث روايات في مكان ولادته رحمه الله تعالى .

وقـد حاول بعضهم الجمع بينها وإزالة الإيهام منها فقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى قوله : باليمن، غلط إلا أن يريد القبيلة وهذا محتمل لكن خلاف الظاهر.

قلت:-ابـن كثيـر- فهذه ثـلاث روايات في بلد مولـده، والمشهور أنه ولد بغـزة ويحتمل أنها بعسقـلان التـي هي قريـب من غزة ثم حمل إلى مكـة صغيراً ، ثم انتقلت به أمـه إلى اليمن، فلما ترعرع، وقرأ القرآن بعثت به إلى بلد قبيلته إلى مكة فطلب بها الفقه[٣]. والله أعلم

وجاء في سير أعلام النبلاء: عن أبي عبد الله الشافعي... قال : ولدت باليمن يعني: القبيلة فإن أمه أزدية[٤].

وقـال الحافـظ ابن حجر رحمه الله: والـذي يجمع بين الأقوال: أنه ولـد بغزة عسقلان، لأن عسقـلان هــي الأصل في قديـم الزمان، وهي وغـزة متقاربتان، وعسقلان هــي المدينة، ولما بلغ سنتيـن حوَّلتـهُ أمُّه إلى الحجاز ودخلت به إلى قومها وهم من أهل اليمن لأنها كانت أُزديَّةً، فنزلت عندهم، فلما بلغ عشراً خافت على نسبه الشريف أن ينسى ويضيع فحولته إلى مكة[٥].

ولعل هذا هو الأقرب في الجمع بين هذه الروايات. وقد جاء في رواية عبد الله بن عبد الحكم أن الشافعي رحمه الله قال له: يا أبا محمد: من لم تُعِزّه التقوى فلا عِزّ له، وقد وُلِدْتُ بغزةَ، ورُبيتُ بالحجاز، وما عندنا قُوت ليلة وما بِتنا جياعاً قط[٦].

١- تاريخ بغداد ٢/ ٥٧/ تاريخ دمشق ٥١/ ٢٨١- تهذيب الكمال ٢٤/ ٣٦١/ سير أعلام ٨/ ٢٣٨.

٢- معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب - شهاب الدين ياقوت الحموي ت٦٢٦هـ - تحقيق احسان عباس - دار الغرب الإسلامي - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٩٣م.٦٢٦، ٦/ ٢٣٩٤.

٣- طبقات الشافعيين فصل في ذكر مولده.

٤- سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٣٨.

٥- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، شمس الدين محمد أبو الخير بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي ت٩٠٢هـ، الناشر: الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٩٩٣م٢/٤٤٥.

٦- طبقات الشافعيين ٢٤/١، تاريخ دمشق - ابن عساكر ت ٥٧١هـ - تجقيق عمر بن غرامة العمروي - دار الفكر للطباعة ١٩٩٥م.٣٩٧/٥١.

الرحلة به إلى مكة

عاش الشافعي رحمه الله سنتين بعد ولادته في غزة ثم انتقلت به أمه إلى مكة، فنشأ وترعرع فيها وحولها، وضوى إلى قبيلة هذيل يأخذ عنهم الشعر ويتفصح بلغتهم وهم من أفصح العرب[١].

روى الخطيب البغدادي في تاريخه بسنده إلى الشافعي رحمه الله أنه قال: أقمت في بطون العرب عشرين سنة آخذ أشعارها ولغاتها وحفظت القرآن فما علمت أنه مرّ بي حرف إلا وقد عَلِمتُ المعنى فيه والمراد، ما خلا حرفين أحدهما (دسّاها)، والآخر نَسِيَه الراوي[٢].

وقال الأصمعي صححت أشعار الهذليين على شاب من قريش بمكة يقال له محمد بن إدريس[٣].

وذكر ابن عساكر عن ابن بنت الشافعي قال سمعت زيد بن بكار يقول: قال لي عمي مصعب: كتبت عن فتى من بني شافع من أشعار هذيل ووقائعها وِقْراً، لم ترَ عيناي مثله، قلت يا عم أنت تقول: لم تر عيناي مثله؟ قال: نعم يا بني لم ترَ عيناي مثله[٤].

ونقل ابن كثير عن الحاكم النيسابوري أن مصعب بن عبد الله الزبيري قال: قرأ عليّ الشافعي أشعار هذيل حفظاً... وكان الشافعي رضي الله عنه يَسْمَر مع أبي من أول الليل حتى الصباح ولا يناما، قال: وكان الشافعي رضي الله عنه في ابتداء أمره يطلب الشعر، وأيام الناس، والأدب ثم أخذ في الفقه بعد، قال وكان سبب أخذه أنه كان يسير يوماً على دابة له وخلفه كاتب لأبي، فتمثل الشافعي رضي الله عنه ببيت شعر فقرعه كاتب أبي بِسَوْطِه ثم قال له: مثلك يُذْهَب بمروءته في مثل هذا؟ أين أنت من الفقه؟ فهزّه ذلك فقصد لمجالسة الزنجي بن خالد مفتي مكة....[٥]

قال الشافعي: لقيني مسلم بن خالد الزنجي فقال لي : يا فتى من أين أنت قلت : من أهل مكة، قال: أين منزلك بها ؟ قلت: شِعْبَ الخِيف، قال: من أي قبيلة أنت؟ قلت : من ولد عبد مناف، قال بخٍ بخٍ لقد شرفك الله في الدنيا والآخرة[٦].

حفظ الشافعي القرآن وهو ابن سبع سنين وجالس العلماء وأخذ عنهم وخاصة أستاذه مسلم

١- طبقات الشافعيين، فصل: ذكر مولده ومنشئه.

٢- تاريخ بغداد ٦١/١ — سير أعلام النبلاء ١٢/١٠.

٣- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١٦١/٢ — تهذيب الأسماء واللغات — النووي ت٦٧٦هـ، نشر وتصحيح شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية — دار الكتب العلمية — بيروت.٥٠/١،

٤- تاريخ دمشق، ٣٣٣/٥١ — طبقات الشافعيين، فصل في ذكر فضائله وثناء الأئمة عليه.

٥- تاريخ دمشق ٢٩٨/٥١.

٦- طبقات الفقهاء - أبو اسحاق الشيرازي ت٤٧٦هـ، هذبة محمد بن مكرم بن منظور ت٧١١هـ، تحقيق احسان عباس - دار الرائد العربي، بيروت ط١ — ١٩٧٠م ١/ ٧٢.

بن خالد الزنجي الذي أكثر من ملازمته وأفاد منه وحفظ موطأ الإمام مالك وهو ابن عشر سنين.
قال رحمه الله عن نفسه : كنت يتيماً في رقبة أمي ولم يكن عندها ما تعطي المعلم، وكان المعلِّم قد رضيَ مني أن أقوم على الصبيان إذا كان غائباً وأخفِّفُ عنه إذا حضر، فلما ختَمتُ القرآن قلت: يا نَفسُ قد حصل لك القُطب الأعظم فدخلت المسجد فكنت أجالس العلماء والفقهاء، فكنت إذا سمعت منهم الحديث أو المسألة حفظتها، وكان منزلنا في شِعبِ الخِيفِ فكنت أنظر إلى العَظمِ يلوح فآخذه وأكتب فيه الحديث أوالمسألة وأطرحه في جرة كانت عندنا قديمةٍ[1]

وقال المزني: سمعت الشافعي يقول: حفظت القرآن وأنا ابن سبْعِ سنين، وحفظت الموطَّأ وأنا ابنُ عَشرِ سنين[2].

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على حِدّة ذكائه وتميّزه رضي الله عنه مما جعل أستاذه يميّزه على غيره من أقرانه ويثق به في إدارة الحَلَقة القرآنية في حضوره وغيبته وهو لا يزال قبل السابعة من عمره.

ثم إن حِفظه للموطأ في هذه السن المبكرة ومجالسته للعلماء والفقهاء خير دليل على ما كان تمتع به رحمه الله من رزانةٍ ورجاحة عقلٍ وتوفيق إلى طلب العلم والجِدِّ في تحصيله.

رحلته إلى المدينة المنورة

لم يكتف الإمام الشافعي بما حصَّله من علم في مكة وحِفظه للقرآن وملازمة أستاذه مسلم بن خالد الزنجي ومجالسة غيره من العلماء والفقهاء في مكة وبحفظه للمُوطأ بجهده الخاص بل قاده طموحه ونفسه الشغوفة بالعلم والتحصيل إلى الرحلة إلى إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالى في المدينة المنورة ليتلقى منه الحديث ويقرأ عليه الموطأ مباشرة بعد أن حفظه عن ظهر قلب من كتابه.

قال الشافعي رحمه الله تعالى : فارقت مكة وأنا ابن أربع عشرة سنة – لا نبات بعارضي (لم يظهر شعر لحيتي بعد) - من الأبطح إلى ذي طوى فرأيت ركْباً فحملني شيخ منهم إلى المدينة، فخَتمتُ آي القرآن من مكة إلى المدينة ست عشرة ختمة، ودخلت المدينة يوم الثامن بعد صلاة العصر، فصليت العصر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذت بقبره، فرأيت مالك بن أنس رحمه الله تعالى مُؤتزراً ببردةٍ متشحاً بأخرى يقول: حدثني نافع عن ابن عمر عن صاحب هذا

١- تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٨٢/٥١- سير أعلام النبلاء ١٠/ ١١، طبقات الشافعيين فصل في ذكر مولده ومنشئه.

٢- تاريخ بغداد ٢/ ٦٠- منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد - يحيى بن إبراهيم الأزدي السلماسي ت٥٥٠هـ، تحقيق محمود عبد الرحمن قدح، الناشر مكتبة الملك فهد الوطنية ط١ - ٢٠٠٢م.

٢٠٥/١/ التقييد لمعرفة السنن والمسانيد - محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع بن نقطة الحنبلي البغدادي ت٦٢٩هـ - تحقيق كمال يوسف الحوت / دار الكتب العلمية ط١ – ١٩٨٨م.٤٣/١.

القبر - يضرب بيده قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم- فلما رأيت ذلك هِبْتُه الهَيبة العظيمة.[١]

وذكــر المزنــي ومحمد بن عبد الله بــن عبد الحكم جميعاً قالا: جــاء الشافعي إلى مالك بن أنس فقال له إني أريد أن أسمع منك الموطأ فقال مالك : تَمضي إلى حبيب كاتبي فإنَّه الذي يتولَّى قراءتــه فقال له الشافعــي: تسمع مني رضي الله عنك صُفَحاً فــإن استحسنت قراءتي وإلا تركت، فقــال لــه : إقرأ فقرأ صُفحاً ثــم وقف، فقال له مالك: هِيْه، فقرأ صفحاً ثــم سكت، فقال له: هِيهِ، فقرأ، فاستحسن مالك قراءته فَقرأَهُ عليه أجمع[٢].

وقال الشافعي رحمه الله تعالى : قدِمْتُ على مالك وقد حفظت الموطأ فقال: أحضِر من يقرأ لك. فقلت: أنا قارئ فقرأت الموطأ حفظاً، فقال: إن يَكُ أحدٌ يفلح فهذا الغلام [٣]

قــال ابــن كثير رحمه الله تعالى : ثم تفَقَّه الشافعي رضــي الله عنه، بمالك بن أنس إمام دار الهجرة في زمانه[٤].

رحلة العودة إلى مكة

ليســ من الواضح كم كانــت مدة إقامة الإمام الشافعي رحمه الله فــي المدينة المنوّرة. هل هــي فقــط ما ورد عنه من المــدة التي لازم فيها الإمام مالك رحمــه الله أم أنه بقي أكثر من ذلك فقد كان يقول رحمه الله: أقمت مع مالك ثمانية أشهر ما يعلم أجانِبُ الناسِ أينَّا الضيف لشدة ما كان يُظْهِر من الأُنس[٥].

إلا أنَّ مــا يمكن استنتاجه مما ذُكر من الروايــات أن ذلك لم يكن طويلاً فقد تقدّم أن عمره كان أربــع عشرة سنة عندما حمله الركب إلى المدينــة المنوّرة، وجاء من رواية الربيع بن سليمان المرادي أن الحميدي قال: سمعت مسلم بن خالد الزنجي- شيخ الشافعي في مكة- يقول للشافعي: أَفْتِ يا أبا عبد الله فقد والله آنَ لك أن تُفتيَ، وهو ابن خمس عشرة سنة[٦].

كمــا أن هنــاك روايتان إحداهمــا عن الربيع نفسه يذكــر فيها أنه سمع عبــد الله بن الزبير الحميــدي يقــول: قال مسلم بن خالد الزنجي للشافعي: يا أبــا عبد الله أفتِ الناسَ آنَ لك والله أن

١- منازل الأئمة الأربعة ١/ ٢٠٦.

٢- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ١/ ٦٨- تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٣/ ١٢٣.

٣- أحكام القرآن البيهقي ١/٣٩- السلوك في طبقات العلماء والملوك – محمد بن يوسف بن يعقوب بهاء الدين الحنبلي اليمني ت ٧٣٢هـ – مكتبة الإرشاد – صنعاء – ١٩٩٥م ط٢ – تحقيق محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي.١/ ١٥٤.

٤- طبقات الشافعيين فصل في ذكر مشايخه في القراءة والحديث.

٥- السلوك في طبقات العلماء والملوك١/ ١٥٣.

٦- الجرح والتعديل لابن أبي حاكم٧/ ٢٠٢/ الثقات لابن حبان ٩/ ٣١.

تفتي، وهو ابن دون عشرين سنة[1].

والثانيـة لداود بن عمرو الضبي يذكر فيها أنه سمـع مسلم بن خالد الزنجي يقول للشافعي: وهو من أبناء ثماني عشَرةَ سنة يا أبا عبد الله أَفْتِ فقد آن لك أن تفتي.[2]

فهـذه ثلاث روايـات تفيدبأن مسلم بن خالد الزنجي شيـخ الشافعي - رحمهما الله تعالى- فـي مكـة أذِنَ للشافعي بأن يُفتـيَ، ويُفتَرض أن يكون هذا الإذن صدر منه فـي مكة، وهذا يعني أن الشافعي قد رجع من المدينة المنورة التي كان قد رحل إليها في الرابعة عشرة من عمره، وها هو في مكة في الخامسة عشرة أو في الثامنة عشرة ودون العشرين من عمره.

رحلته الأولى إلى اليمن

قـال محمد بـن يوسف بن يعقـوب الجندي: ثم دخل اليمـن لأول مرة مع جـدِّه عبد الله بن الحسـن لا غرض له غير طلب العلـم، وفيها- أخذ عن هشام بن يوسف الأبنـاوي وابي حنيفة بن سماك -مقدم الذكر- ومطرف بن مازن والدبري على إحدى الروايتين[3].

وممـا يذكر له في رحلته هذه إلى اليمـن أنه حاول فيها جمع كتب الفراسة فجمعها وعاد بها معه عند رجوعه إلى مكة.

رحلة عودته من اليمن إلى مكة

نكتة العودة:

قـال الحميـدي: سمعت محمد بـن إدريس الشافعي يقول : خرجت إلـى اليمن في طلب كتب الفراسة حتى كتبتُها وجمعتُها ثم لما حان انصرافي مررت برجل في طريقي وهو محتبٍ بفناء داره أرزق العيـن ناتئ الجبهة سناط[4]، فقلـت : هل من منزل؟ قال نعم، قال الشافعي رضي الله عنه: وهـذا النعت من أخبث ما يكون في الفراسة، فأنزلني، فرأيت أكرم رجل: بعَث إلى بعَشَاء، وطِيب، وعَلَف لدابتي، وفراش ولحاف، وجعلت أتقلب الليل أجمع ما أصنع بهذه الكتب ،إذ رأيت هذا النعت في هذا الحال فلما أصبحت قلت للغلام: أسرِج فأسْرج، فركبت ومررت عليه، وقلت له: إذا قدِمْتَ مكـة ومررت بذي طوى فسَلْ عن منزل محمـد بن إدريس الشافعي، فقال لي الرجل : أمولى لأبيك أنـا؟ قلت: لا، قال: فهل لك عنـدي نعمة؟قلت لا قال: أدّ ما تكلّفْتُ لك البارحة، قلت : وما هو؟ قال

١- تاريخ بغداد وذيوله ٢/٦٢- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٢٤/ ٣٦٩.

٢- تاريخ دمشق لابن عساكر ٥١/ ٣٠٨.

٣- السلوك في طبقات العلماء والملوك١/١٥٢.

٤- الرجل الذي لا لحية له، وقيل هو الذي لا شعر في وجهه البتة، وقال ابن الأعرابي: السُّنط: الخفيف العوارض ولم يبلغوا حال الكوسج . لسان العرب لابن منظور ت٧١١هـ، دار صادر ط٣ — ١٤١٤هـ.٧/ ٣٢٥.

اشتريت لـك طعاماً بدرهمين، وإداماًبكذا، وعطراً بثلاثة دراهـم، وعلفاً لدابتك بدرهمين، وكرا الفراش واللحاف بدرهمين، قال: قلت يا غلام أَعْطِه، فهل بقي من شيء؟ قال : كِرَا المنزل فإني وسَّعْـتُ عليـك وضيَّقْت على نفسي، قال الشافعي رضي الله عنه: فغَبَطْتُ نفسي بتلك الكتب، فقلت له بعد ذلك : هل بقي من شيء؟ قال : إمض أخزاك الله فما رأيت قط أشَرَّ منك[١].

رحلته الأولى إلى العراق

عـاد الشافعـي رحمه الله تعالى مـن رحلته هذه إلى مكة ثم ارتحل إلـى العراق للمرة الأولى بصحبة أحد عمومته مصعب بن عبد الله.

قال الجندي: ثم ارتحل إلى العراق فأخذ عن محمد بن الحسن واستعار منه كتب أبي حنيفة، وهـو إذ ذاك يسكـن الكوفة، ثم دخل بغداد فولَّى الرشيد قضـاء اليمن لمصعب بن عبد الله فكان الشافعي بصحبته فسأله أن يخرج إلى اليمن لما يتحقق من فقره وانقطاعه فخرج معه..[٢]

رحلته الثانية إلى اليمن

مما روى عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدي أن الشافعي رحمه الله قال : قَدم علينا والي اليمن فكلَّمَه بعض القرشيين في أن أصحبه، ولم يكن عند أمي ما تعطيني أتَحمَّل به فرهَنَت دارها على ستة عشر ديناراً ودفعتْها إليّ فتحمَّلْت بها مع والي اليمن، فلما وصلْنَا سالمين استَعْمَلني على عمـل فحُمِـدتُ فيه فزادني عملاً آخر فَحُمِدْتُ فيه ودخل العمـال مكة فأحسنوا عليَّ الثَّناء وأكثروا من المدح...[٣]

وقال ابن كثير : ثم رجع إلى اليمن في حال الشبيبة فَوُلِّي بها بعض الأعمال وحُمِد فيها[٤].

وهنـا يشـار إلـى أن أحد عمومتـه رحمه الله تعالى وهـو مصعب بن عبـد الله تولى القضاء فـي اليمـن أثناء رحلته هذه وهو ممن وفد عليهم الشافعي رحمـه الله في هذه الرحلة وجالس معه الناس.

ذكـر الذهبـي في السير أنَّ الشافعي رحمه الله تعالى قال: قـال لي مصعب - يعني ابن عبد الله- إن الرشيـد كتـب إلي أن أصير إلى اليمن قاضيـاً فتخرج معنا لعل الله أن يعوِّضك، فخرجت معـه، وجالسنـا النـاس....[٥] قـال الشعراني في لوافح الأنوار: ثم رحل إلـى اليمن حين تولى عمه

١- تاريخ دمشق٥١/٤٠٥- طبقات الشافعيين/ فصل في رحلته وطلبه للعلم

٢- السلوك في طبقات العلماء والملوك١/ ١٥٢

٣- تاريخ دمشق لابن عساكر ٥١/ ٢٨٢

٤- طبقات الشافعيين لابن كثير . فصل في رحلته وطلبه للعلم وولايته.

٥- سير اعلام النبلاء ٨/ ٢٧٣.

القضاء بها واشتهر بها.[1]

وذكر محمد بن اسحاق السراج في تاريخه:... عن عبد الرحمن بن إبراهيم قال: وفد محمد بن إدريس الشافعي على رجل من قومه باليمن كان بها أميراً فأقام عنده أياماً ثم سأله الرجوع إلى داره وموضعه فكتب إليه يعتذر وعرض عليه شيئا يسيرا[2]

رحلة العودة إلى مكة

وقال الربيع: سمعت الحميدي يقول خرج الشافعي إلى اليمن مع بعض الولاة ثم انصرف إلى مكـة بعشـرة آلاف درهم فضرب له خباء في موضع خارج من مكة فكان الناس يأتونه فما برح من موضعه ذلك حتى فرّقها كلها.[3]

رحلته مع القضاء في نجران

أقـام الشافعـي رحمه الله بعد عودته من اليمن فترة في مكـة مع قومه وبين علمائها يشتغل بالعلم فيها، ثم طُلب منه أن يتولى القضاء في نجران فوافق على ذلك وانتقل إليها.

قـال الحميدي: قال الشافعـي رضي الله عنه: وُلِّيت نجرانَ وبها بنـو الحارث وموالي ثقيف، فجمعتهـم فقلت: اختاروا سبعة منكم فمن عدلوه كان عدلا ومن جرحوه كان مجروحاً، فجمعوا لي سبعة منهم، فجلست للحكم، فقلت للخصوم : تقدموا فإذا شهد الشاهد عندي التفت إلى السبعة فـإن عدلوه كان عـدلاً وإن جرحوه قلت زدني شهودا، فلما أتيت علـى ذلك، وجعلت أسجل وأحكم، فنظـروا إلى حكم جار فقالوا: إن هذه الضيـاع والأموال التي تحكم علينا فيها ليست لنا وإنما هي لمنصـور بـن مهدي في أيدينا، فقلت للكاتب: أكتب وأقر فـلان بن فلان الذي وقع عليه حكمي في هـذا الكتاب أنَّ هذه الضيعة، أو المال الـذي حكمت عليه ليست له، إنما هي لمنصور بن المهدي، ومنصور بن المهدي على حجته متى قام، قال: فخرجوا إلى مكة فلم يزالوا يعملون حتى رفعت إلى العراق فقيل لي : الزم الباب فنظرت فإذا أنا لا بد لي من الاختلاف إلى بعض أولئك، وكان محمد بن الحسن جيد المنزلة عند هارون فاختلفت إليه ..[4]

رحلة عودته إلى مكة

يظهـر من الروايـة السابقة أنَّ الذين حكم عليهم الشافعي في حـال ولايته للقضاء قد وشَوا

١- الطبقات الكبرى للشعراني لواقح الأنوار في طبقات الأخيار – عبد الوهاب الشعراني ت٩٧٣ – الناشر مكتبة محمد المليجي الكتبي وأخيه، مصر ١٣١٥هـ.١/ ٤٣.

٢- الانتقاء ١/ ٩١.

٣- الانتقاء ١/ ٩٤ .

٤- طبقات الشافعيين – فصل في رحلته وطلبه للعلم.

بـه إلى هارون الرشيد ولا زالوا يتابعون وشايتهم حتى كان لذلك أثره في ترك الشافعي رحمه الله للقضاء وعودته إلى مكة.

الرحلة به إلى العراق

كمـا أن مطرف بن مازن قاضي اليمن كتب إلـى الرشيد: إن أردت اليمن لا يفسد عليك، ولا يخـرج من يـدك فأخرج عنه محمد إدريس وذكر أقواماً مـن الطالبيين فبعث إلى حماد البربري، فأُوثِقت بالحديد حتى قدمنا على هارون بالرقة فأُدْخِلت عليه....[1]

قـال ابن كثير: وكان سبـب وروده بغداد في المرة الأولى بظلم أولئـك النفر من أهل نجران عليه في أحكامه عليهم، وقد كان فيها باراً راشدا تابعاً للحق، رحمه الله [2].

ونقـل ابـن كثير عن ابـن عساكر : أن نائـب اليمن كتب إلـى الرشيد يشكو إليـه جماعة من الطالبييـن، وكانوا ينسبون إلى التشيُّع، وأدمج معهم الإمام الشافعي رضي الله عنه فبعث الرشيد إلى نائب اليمن في طلبهم وأنهم يبعثون مثقلين بالحديد، فلما دخل الشافعي رضي الله عنه بغداد واجتمع بأمير المؤمنين وجرى بينه وبين محمد بن الحسن مناظرات حسنة وعرفوا فضل الشافعي وإمامته وسيادته عظموه وأكرموه وأنزله محمد بن الحسن في بعض منازله...[3]

وذكـر ابـن عبد البر عن عبيد الله بن عمر بن أحمد الشافعي البغدادي قال: حمل الشافعي من الحجاز مع قوم من العلوية تسعة وهو العاشر إلى بغداد وكان الرشيد بالرقة فحملوا من بغداد إليـه وأدخلـوا عليه ومعه قاضيـه محمدبن الحسن الشيبانـي وكان صديقاً للشافعـي وأحد الذين جالسوه في العلم وأخذوا عنه..[4]

وذكـر المُزنـي عـن الشافعي رحمه الله تعالـى أنه قال : رُفـع إلى هارون الرشيـد: أن بمكة قومـا من قريشـ استدعوا رجلاً علويـا كان باليمن ثم قـدم مكة مجاوراً فاجتمـع إليه من قريش فتيـة جماعـة يريدون أن يبايعوه ويقوموا بـه فأمر الرشيد يحيي بن خالد بـن برمك أن يكتب إلى عامله بمكة أن يبعث إليه من مكة ثلاثمائة رجل كلهم من قريش مغلولة أيديهم إلى أعناقهم، قال الشافعي فأشخصت فيمن أشخص مغلولاً فلما وَرَدْنا العراق أُتي بنا إلى دار يحي بن خالد فدخلنا عليه وقال لنا: يا معشر قريش قد رفع عليكم أمرٌ كبيرٌ عسى الله أن يُنجِيَكم من البلاء إن كنتم قد بُغِـي عليكـم، والذي أراه أن تُقدِّموا من أنفسكم رجلاً يخاطـب الرشيد أمير المؤمنين عنكم وعن نفســه فقالـوا هذا الشافعي يخاطبه عنا وأشاروا إليّ وكنت أحْدَثَهـم سنّا، قال ثم أَمَرَ بنا فأُدْخِلنا

١- سير اعلام النبلاء ٨/ ٢٧٣. وطبقات الشافعة الكبرى للسبكي ٢/ ١٢١.

٢- طبقات الشافعيين/ فصل في رحلته وطلبه للعلم وولايته.

٣- طبقات الشافعيين/ فصل في رحلته وطلبه للعلم.

٤- الانتقاء ١/ ٩٧.

علــى هارون فقال يــا معشر قريش ما حملكم على ما بلغني عنكـم ولا تكثروا علي قدِّموا منكم من يكلمنــي عنه وعنكم فقالوا: قد قدَّمنا هذا وأشاروا إلي وتقدَّمْتُ ويدِيَ مغلولةٌ إلى عنقي، فلما نظر إلــي صعّـد في البصر وصوَّبَه ثم قال: يــا معشر قريش ألم أجبر فقيركـم، وأكبر كبيركم، وأتفقد صغيركـم، وألُـمِّ شَعْثَكم، وأَحْسِــن إليكم، وأقسم العطــاء في كل موسم فيكـم، وأنتم الآن تدعون الخــوارج من آل عليّ لتحملوا على أمة محمد بالسيف. فقلــت أَصْلَحَ الله أمير المؤمنين ووفقه لما يَرْضَــى بــه عنه، إن بَنِي عَلِي لا يرَوْن قريشا إلا كعبيدهم، وأنتــم تعرفون لقريش حق القرابة، فهل يصــح دعوى مدَّعٍ عند من يعقل أنه يرضــى أن يتأمَّر عليه من يَعُدُّه عبداً ويترك أن يتأمَّر عليه من يــراه ابن عمــه ومثله في نسبه؟ قال فسكت ساعة ثم قال : من أنــت؟ قلت: أنا من ولد المطلب بن عبد مناف، أنا محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بــن هاشــم بن المطلب بن عبد مناف بــن قصي. فقال الرشيد : أَطْلِقُوا عنــه وعن الذين معه من قريشــ. قــال الشافعي فحل وثاقي ووثاقهــم وأمر لنا بخمسمائة دينار، وأمر لــي بخمسين ديناراً، وأمر لي يحي بن خالد بخمسين أخرى[١].

قال ابن كثير: قدم العراق ثلاث مرات ، الأولى سنة أربع وثمانين ومائة، وذلك بسبب مرافعة نائب اليمن فيه وفي أقوام معه، فدخل الشافعي رضي الله عنه على الرشيد مقيداً في الحديد [٢].

قلــت: يظهر مــن الروايات السابقة أن الشافعي ترك اليمن قبل وصول أمر الرشيد إليها فلم تذكر الروايات أنه حُمِل موثَقاً بالحديد من اليمن وإنما ذكرت أنه حمل من مكة ومن الحجاز ومن المعلــوم أن كليهمــا واحد لأن مكــة جزء من الحجاز، وهذا يعني أنه بعــد وصوله إلى مكة واجتماع النــاس من قريش عليه رفع أمر ذلك (أيضاً) إلى الرشيد وكان قد سبقت ذلك وشاية نائب اليمن وقاضي اليمن به وهنا صدر الأمر من الرشيد إلى خالد بن برمك إلى عامله بمكة - من الحجاز- بجلبه مع من جلب معه، وهذا العدد الكبير - الذي أمر الرشيد عامله ببعثهم إليه- ثلاثمائة رجل يــدل على تفاقم الأمــر عند الرشيد وأن وشايــات عماله باليمن وعامله في مكة قــد ساند بعضها بعضاً وصادق بعضها بعضا مما جعل الرشيد يصدر هذا الأمر الشديد.

وشاية مفتراة

أورد البيهقــي فــي «مناقب الشافعي[٣] من طريق عبد الله بن محمــد البلوي[٤] أن الإمام أبا يوسف ومحمد بن الحسن حرّضا الرشيد على قتل الشافعي رحمهم الله جميعاً.

١- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ١/ ٩٦-٩٧.

٢- طبقات الشافعيين١/ ٣٩- وانظر أيضا سير أعلام النبلاء ١٠/ ٧٨.

٣- مناقب الشافعي للبيهقي ١/١٣٠ - طبقات الشافعيين - فصل في رحلته وطلبه العلم.

٤- عبد الله بن محمد البلوي قال عنه ابن كثير في البداية ١٨٢/١٠ كذاب - وقال الذهبي في الميزان ٤٩١/٢ قال الدارقطني: يضع الحديث.

وبالرجوع إلى تاريخ وفاة أبي يوسف رحمه الله وتاريخ الرحلة التي جلب فيها الإمام الشافعي رحمه الله إلى بغداد، نجد ما يلي:

أنَّ الإمـام أبـا يوسـف رحمه الله تعالـى قد توفي قبل قـدوم الشافعي رحمـه الله إلى بغداد بسنتيـن. فقد تقدم أن قـدوم الشافعي رحمه الله إلى بغداد كان سنة أربـع وثمانين ومائة[1]، أما وفـاة الإمام أبي يوسف رحمه الله فقد كانت يوم الخميس وقت الظهر لخمسٍ خلوْنَ من ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين ومائة[2].

وقـد صـرح بكذب ما نسبه البلوي إلى أبي يوسف ومحمـد رحمهما الله غير واحد من الأئمة النقاد.

قـال الذهبي في السيـر: قدم بغداد سنة بضـع وثمانين ومائة وأجـازه الرشيد بمال، ولازم محمد بن الحسن مدة، ولم يلقَ أبا يوسف القاضي، مات قبل قدوم الشافعي[3].

وقال ابن حجر رحمه الله: وأما الرحلة المنسوبة إلى الشافعي المروية من طريق عبد الله بن محمد البلوي فقد أخرجها الآبـري والبيهقي وغيرهما، مطولة ومختصرة، وساقها الفخر الرازي فـي مناقب الشافعي بغير إسناد معتمداً عليها وهي مكذوبة وغالبُ ما فيها موضوع، وبعضها ملفّق مـن روايـات ملفّقة، وأوضح ما فيها من الكذب قوله فيها: إن أبا يوسف ومحمد بن الحسن حرّضا الرشيد على قتل الشافعي، وهذا باطل من وجهين:

أحدهما: أن أبا يوسف لما دخل الشافعي بغداد كان قد مات ولم يجتمع به الشافعي.

والثانـي أنهمـا كانا أتقـى لله من أن يسعيا في قتـل رجل مسلم، لا سيما وقـد اشتهر بالعلم وليسـ لـه إليهما ذنب إلا الحسد على ما آتـاه الله من العلم، هذا ما لا يظـن بهما، وإن منصبهما وجلالتهمـا وما اشتهـر من دينهما ليصد عن ذلك، والذي تحرّر لنـا بالطرق الصحيحة أن قدوم الشافعي بغداد أول ما قدم كان سنة أربع وثمانين ومئة، وكان أبو يوسف قد مات قبل ذلك بسنتين وأنه لقي محمد بن الحسن في تلك القدمة وكان يعرفه قبل ذلك من الحجاز وأخذ عنه ولازمه[4]، ونقـل عن محمد بن سهل الأموي : حدثنـا عبد الله بن محمد البلوي فذكر محنة مكذوبة للشافعي

١- الصفحة السابقة من هذا البحث.

٢- الجواهرة المضيئة في طبقات الحنفية ٢٢١/٢ – سير أعلام النبلاء ٤٦٩/٧ – الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد البصري ٢٣٠هـ، تحقيق إحسان عباس – دار صادر – بيروت – ط١ – ١٩٦٨م.

٨٢/١ – أخبار القضاة لأبي بكر محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الطبي البغدادي ن ٣٠٦هـ، تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة النجارية – مصر ط١ – ١٩٤٧م.٣٦٤/٣.

٣- سير أعلام النبلاء ٥٠/١٠.

٤- توالي التأسيس بمعالي محمد بن إدريس. ٧١/.

فضيحة لمن تدبرها[١].

قال ابن كثير : من زعم من الرواة أن الشافعي اجتمع بأبي يوسف كما يقول عبد الله بن محمد البلوي الكذاب في الرحلة التي ساقها للشافعي ، فقد أخطأ في ذلك، وإنما ورد الشافعي بغداد في أول قَدمةٍ قدمها إليها سنة أربع وثمانين ومئة، وإنما اجتمع الشافعي بمحمد بن الحسن الشيباني فأحسن إليه، وأقبل عليه، ولم يكن بينهما شنآن كما يذكره بعض من لا خبرة له بهذا الشأن[٢].

وأما بالنسبة لمحمد بن الحسن رحمه الله تعالى فإن الشافعي كان قد رآه في الحجاز وأخذ عنه ولازمه، وهل يظن عاقل بأستاذ أن يقوم بالوشاية بتلميذه وهو في منصب رفيع وتلميذه في بلد غير بلده وليس بينهما خصومة ولا منافسة على منصب وليس بينهما احتكاك مباشر، إلا صلة العلم الذي هو رحم بين أهله، هذا بالإضافة إلى ما كان يتميز به محمد بن الحسن رحمه الله من التقوى والورع الذي تجله عن مثل هذه السفاسف والانحطاط إلى مثل هذا المستوى من الأخلاق التي يترفع عنها عوام المسلمين ناهيك عن مثل هذا الإمام.

يضاف إلى ذلك ما تقدم مما ذكره الذهبي وابن حجر وابن كثير رحمهم الله. ومما ذكره ابن كثير أيضاً قوله: وما ذكره عبد الله بن محمد البلوي في رحلة الشافعي رضي الله عنه في مناظرة الشافعي رضي الله عنه أبا يوسف بحضرة الرشيد وتأليب أبي يوسف عليه فكلام مكذوب اختلقه هذا البلوي قبحه الله، وأبو يوسف رحمه الله كان أجل قدراً وأعلى منزلة مما ينسب إليه وإنما أدرك الشافعي رضي الله عنه في هذا القدمة محمد بن الحسن الشيباني وأنزله في داره وأجرى عليه نفقة، وأحسن إليه بالكتب وغير ذلك رحمهم الله[٣].

إقامته في بغداد

تقدم أن الشافعي قد تكلم أمام الرشيد بعد أن مَثَلَ بين يديه، وقد ورد أن الرشيد قال له وبحضرة محمد بن الحسن: أنت محمد بن إدريس؟ قال الشافعي: فقلت نعم يا أمير المؤمنين، قال: ما ذكرك لي محمد بن الحسن، ثم عطف على محمد بن الحسن فقال: يا محمد ما يقول هذا؟ هو كما يقول؟ قال: بلى وله في العلم محل كبير وليس الذي رُفِعَ عليه من شأنه، قال: فخذه إليك حتى أنظر في أمره، فأخذني محمد وكان سبب خلاصي لما أراد الله عزّ وجلّ منه[٤].

١- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة – دار البشائر الإسلامية – بيروت – ط١ – ٢٠٠٢م.٦٨١/١.

٢- لسان الميزان لابن حجر ١/ ٦٨١.

٣- طبقات الشافعيين، ٣٩/١.

٤- الانتقاء في فضل الثلاثة الأئمة الفقهاء ٩٧/١.

ولـم أجـد من صرَّح بمقدار المدة التي أقامها الإمام الشافعـي في بغداد بعد أن انتهت هذه المحنـة مـع الرشيد؛ إلا أنه رحمه الله قد نزل دار محمد بن الحسن ولازمه وأخذ عنه العلم وكتب كتبه وحصلت بينهما مناظرات علميه حسنة.

قـال أبو عبيد: رأيت الشافعي عند محمـد بن الحسن وقد دفع إليه خمسين ديناراً، وقد كان دفع إليه قبل ذلك خمسين درهماً وقال: إن اشتهيت العلم فالزم ثم دفع إليه هذه الدنانير، ولزمه الشافعي(١).

قال الذهبي: قد قدم بغداد سنة بضع وثمانين ومائة، ولازم محمد بن الحسن مدة(٢).

وقال ابن حجر: وإنه لقي محمد بن الحسن في تلك القدمة وكان يعرفه قبل ذلك من الحجاز وأخذ عنه ولازمه(٣).

وروى الربيـع بـن سليمان عـن الشافعي أنه كتب إلـى محمد بن الحسن وقـد طلب منه كتباً لينسخها فأخرها عنه فكتب إليه:

قُـلْ لِمَـنْ لم تَـرَ عَيْـ	ـنُ مَـنْ رَآهُ مِثْلَـهُ
وَمَـنْ كَأَنَّ مَـنْ رَآ	هُ قَـدْ رَأى مَـنْ قَبْلَهُ
العِلْـمُ يُنْهَـى أَهْلَـه	أَنْ يَمْنَعُـوهُ أَهْلَـهُ
لَعَلَّـهُ يَبْذُلُـهُ	لأَهْـلِـه لَعَلَّـهُ

قال فأنفذ الكتب إليه من وقته(٤).

وقال أحمد بن سريج الرازي سمعت الشافعي يقول: أنفقتُ على كتب محمد بن الحسن ستين ديناراً ثم تدبرتها فوضعت إلى جانب كل مسألة حديثاً(٥).

وقال الربيع بن سليمان سمعت الشافعي يقول حملت عن محمد بن الحسن حمل بختي، وقال مرة وقر بعير ليس عليه إلا سماعي منه(٦).

قلت: ومما تقدم من نزول الشافعي في دار محمد بن الحسن، ومن ملازمته له، وأخذه العلم عنـه، ورواية كتبه، وكتابة هـذا الكم الكبير (وَقر بعيرٍ - حِملَ بَختـي) من كتب محمد بن الحسن ونسخـه لهـا يمكن لنا أن نتخيل على وجه المقاربة مقدار المدة التي أقامها الإمام الشافعي رحمه

١- تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٩٦/٥١ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - دار الكتاب العربي - بيروت - تحقيق د. عمر تدمري - ط١ - ١٩٨٧م.١٤٦/٥.

٢- سير أعلام النبلاء ٥٠/١٠.

٣- توالي التأسيس ص٧١.

٤- أخبار أبي حنيفة وأصحابه للصيري ١٢٧/١- وفيات الأعيان ١٨٤/٤.

٥- تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٩٧/٥١- مناقب أبي حنيفة وصاحبيه ٨١/١.

٦- أخبار أبي حنيفة وأصحابة ١٢٨/١.

الله تعالى في قدمته الأولى هذه في بغداد قبل أن يعود إلى مكة المكرمة بعدها.

رحلة عودته إلى مكة

بعـد مقـام الشافعي رحمه الله هذه المـدة في بغداد في كنف محمد بـن الحسن الشيباني، وملازمتـه له، وأخذِه العلم عنـه، ومناظرتِه له في العلم أحياناً، وروايتـه لكتبه، وكتابته لها؛ حمل هـذه الكتب وعاد إلى مكة المكرمة وقد تقدم قوله: حملت عن محمد بن الحسن حمل بختي؛ وقال مرة: وقر بعير ليس عليه إلا سماعي منه(١).

قـال ابن كثيـر: ثم أحسن إليه الرشيد وأطلق له قريباً مـن خمسة آلاف دينار كما تقدم، ثم رجع إلى الحجاز...(٢).

مكـث الشافعـي رحمه الله في مكة مدة بلغت العشر من السنين أو زادت عليها يشتغل بالعلم والتدريس وكان ممـا ورد عنه رحمه الله أنـه اشتغل به وأولاه عنايته كتـب محمد بن الحسن التي حملها معه عنه.

روى أحمد بن سريج عنه أنه قال: أنفقت على كتب محمد بن الحسن ستين ديناراً ثم تدبرتها فوضعت إلى جنب كل مسألة حديثاً، يعني رداً عليه(٣).

رحلته الثالثة إلى بغداد -ج-

كانـت الرحلةُ الثانية للإمام الشافعي رحمه الله إلى بغـداد رحلةَ رجلٍ مكبّل بالأغلال متَّهمٍ بالخـروج والتحريضـ على الخليفة لا يعلم ما الـذي سيحكم عليه به، وما الذي سيـؤول إليه أمره فدخلها خائفاً متوجساً.

أما رحلته هذه (الثالثة) فإنها رحلة عالمٍ تبحّر في العلم في مكة وخرج منها يقصد عاصمة الخلافة لينشر علمه ويلتقي بغيره من علماء عصره فيفيد كل منهم من الآخر، فكانت رحلته هذه في السنة الخامسة والتسعين بعد المائة للهجرة.

وصل الشافعي رحمه الله إلى بغداد فاجتمع بعلمائها واجتمع عليه ثُلَّة من علمائها ومن طلبة العلم الذين أخذو عنه وصحبوه وتفقهوا عليه وكان من أشهرهم:

الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله المتوفى سنة ٢٤١هـ، الذي لازمه وأكثر من الأخذ والرواية عنه.

١- أنظر الصفحة السابقة.

٢- طبقات الشافعيين ١/٣٩.

٣- سير أعلام النبلاء ٨/٢٤٠ – مناقب الامام أبي حنيفة وصاحبيه ١/٨١.

أبو علي الحسن بن محمد بن الصباح البزار الزعفراني المتوفى سنة ٢٦٠هـ.

أبو علي الحسين بن علي الكرابيسي المتوفى سنة ٢٥٦هـ

أبو ثور ابراهيم بن خالد الكبي المتوفى سنة ٢٤٠هـ

أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ

أبو عبد الرحمن أحمد بن محمد بن يحيى الأشعري البصري.

أبو يعقوب اسحاق بن ابراهيم المعروف بابن راهويه المتوفى سنة ٢٣٨هـ[١].

قال ابن كثير ثم عاد إلى بغداد في سنة خمس وتسعين (يعني بعد المائة)، فاجتمع بأحمد بن حنبل وأضرابه في ذلك الزمان...[٢].

أقام الشافعي رحمه الله ببغداد سنتين قضاهما في نشر العلم وفيهما كوَّنَ ما سمي بالقول أو بالمذهب القديم له.

روى أبو بكر الخطيب بسنده إلى أبي الفضل الزجاج، قال: لما قدم الشافعي إلى بغداد وكان في المسجد إما نيّف وأربعون أو خمسون حلقة فلما دخل بغداد ما زال يقعد في حلقة حلقة ويقول لهم: قال الله، قال الرسول، وهم يقولون قال أصحابنا حتى ما بقي في المسجد حلقة غيره[٣].

وروى موسى الأشيب عن بعض شيوخه قال: لما قدم الشافعي رضي الله عنه بغداد لزمه أحمد بن حنبل يمشي مع بغلة له فأخلى الحلقة التي يقعد فيها أحمد ويحيى وأبو خيثمة وغيرهم[٤].
حتى روي عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال: كل مسألة ليس عندي فيها دليل فأنا أقول فيها بقول الشافعي[٥].

وقد اشتهر ذكر الشافعي رحمه الله ببغداد وغيرها بين العلماء. فعن حرملة بن يحيى قال: سمعت الشافعي يقول: سميت ببغداد ناصر الحديث[٦].

رحلة عودته من بغداد إلى مكة

بعد سنتين أقامهما الشافعي رحمه الله في بغداد قصد مكة المكرمة عائداً إليها، ويظهر أن ذلك كان سنة سبع وتسعين ومائة وقبل موسم الحج منها: فقد تقدم أنه قدم بغداد في السنة الخامسة والتسعين بعد المائة وأقام فيها سنتين، فيكون خروجه منها في السابعة والتسعين بعد

١- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ١/١٠٨.

٢- طبقات الشافعيين ١/٣٩.

٣- طبقات الشافعيين ١/٢٢.

٤- المرجع السابق.

٥- طبقات الشافعية ١/٥٦.

٦- تهذيب الكمال للحافظ المزي ٢٤/٣٧٤ – منازل الأئمة الأربعة ١/٢١٠.

المائة. قال ابن كثير: وأقام ببغداد سنتين ثم رجع إلى مكة[١].

وأما كون رجوعه كان قبل موسم الحج منها فلما روى مِن تناظر الشافعي واسحاق بن راهويه بمسجد الخيف من منى أيام الموسم، وأظن ذلك في ست وتسعين أو سبع وتسعين ومائة وذلك بحضرة أحمد بن حنبل[٢].

وقال محمد بن اسحاق بن راهويه: سمعت أبي يقول: اجتمعت مع الشافعي بمكة فسمعته يُسأل عن كِرَى بيوت مكة، فقلت له: أسألك عن هذه المسألة لا أجاوز بك إلى غيرها، قال: ذلك أقدر لك[٣].

وقال الربيع: خرجنا مع الشافعي رضي الله عنه من مكة نريد (منى) فلم ينزل وادياً ولم يصعد شعباً إلا وهو يقول: «من الكامل»

يا راكباً قف بالمحصب من منى | واهتف بقاعد خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى | فيضاً كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حبُّ آل محمد | فليشهد الثقلان أني رافضي[٥]

وقال محمد بن الفضل القزاز سمعت أبي يقول: حججت مع أحمد بن حنبل ونزلت في مكان واحد معه، أو في دار -يعني بمكة- وخرج أبو عبد الله -يعني أحمد بن حنبل- باكراً، وخرجت أنا معه فلما صليت الصبح وردت المسجد فجئت إلى مجلس سفيان بن عيينة أدور مجلساً مجلساً طلباً لأبي عبد الله أحمد بن حنبل، حتى وجدت أحمد بن حنبل عند شاب أعرابي وعليه ثياب مصبوغة، وعلى رأسه جمة، فزاحمت حتى قعدت عند أحمد بن حنبل، فقلت: يا أبا عبد الله تركتُ ابن عيينة عنده الزهري وعمرو بن دينار وزيد بن علاقة ومن التابعين ما أنت به عليم، فقال لي: اسكت فإن فاتك حديث بعلوّ تجده بنزول ولا يضرك في دينك ولا في عقلك ولا بفهمك، وإن فاتك عقل هذه الفتى أخاف ألا تجده إلى يوم القيامة، ما رأيت أحداً أفقه في كتاب الله من هذا الفتى القرشي، قلت: من هذا؟ قال: محمد بن إدريس الشافعي[٥].

وقال اسحاق بن راهويه: كنا بمكة والشافعي بها، وأحمد بن حنبل بها، فقال لي أحمد بن حنبل: يا أبا يعقوب جالس هذا الرجل – يعني الشافعي – قال: وما أصنع به؟ سنه قريب من

١- طبقات الشافعيين لابن كثير – فصل في رحلته وطلبه العلم وولايته.

٢- المصدر السابق- فصل في ذكر أوصافه الجميلة.

٣- المصدر السابق- فصل في ذكر أوصافه الجميلة.

٤- ترتيب المدارك وتقريب المسالك ١٨٧/٣- معجم الأدباء إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب ٢٤٠٨/٦

٥- طبقات الشافعيين ٢٢/١.

سننا، أترك ابن عيينة والمقري؟ فقال: ويحك إن ذلك لا يفوت وهذا يفوت، فجالسته. قلت -يعني ابن كثير- هذا لعله كان سنة ست أو سبع وتسعين ومائة، بعد أن قدم الشافعي رضي الله عنه بغداد سنة خمس وتسعين فعرف أحمد ثم عاد إلى مكة...[١].

ثم أقام الشافعي رحمه الله بعد موسم الحج هذا بمكة يشتغل بالعلم ويدرسه حتى سنة ثمان وتسعين ومائة حيث غادرها إلى العراق.

رحلته الرابعة الأخيرة إلى بغداد

وفي سنة ثمان وتسعين ومائة غادر الشافعي رحمه الله مكة متجهاً إلى بغداد[٢].

قال الشافعي: لما دخلت بغداد نزلت باب الشام فانصبّ الناس إليّ فاستووا في مجالسهم حتى جاء أبو ثور بمسألة، فقلت: يا أبا ثور الإيناس قبل الإسناس، فلم يدرِ ما قلت له، فقال: ما هو يا أبا عبد الله؟ فقلت: الإيناس مسح الناقة بيدك حول ضرعها، والإسناس حلب ضرعها بيدك[٣].

أقام الشافعي رحمه الله ببغداد أشهراً التقى فيها بعلمائها وأقبل عليه تلاميذه- ممن تقدم ذكرهم- وطلاب العلم فيها يتفقهون عليه وينهلون من معينه.

وفي خلال هذه الفترة كان رضي الله عنه يفكر في الذهاب إلى مصر. قال الزعفراني: لما أراد الشافعي رحمه الله الخروج من العراق إلى مصر أنشد لنفسه: «من الطويل»

أخي أرى نفسي تتوق إلى مصر ... ومن دونها أرض المفاوز والقفر
فوالله ما أدري أللفوز والغنى ... أساق إليها أم أساق إلى القبر

قال الزعفراني: فوالله لقد سيق إليهما جميعا[٤].

الرحلة إلى مصر

عزم الشافعي رحمه الله على الذهاب إلى مصر التي لم يسبق له أن زارها فخرج من بغداد في السنة التاسعة والتسعين بعد المائة، والذي يظهر أن خروجه إليها كان في أوائل هذه السنة، فإنه قدم إلى بغداد في السنة الثامنة والتسعين بعد المائة، ولم تدم إقامته فيها إلا أشهراً. قال حرملة بن يحيى: قدم علينا الشافعي سنة تسع وتسعين ومائة ومات سنةَ أربعٍ وثمانين ومائتين عندنا بمصر[٥].

١- تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٣١/٥١ – طبقات الشافعيين لابن كثير ٢٢/١.

٢- منازل الأئمة الأربعة ٢٠١/١.

٣- الانتقاء ٩٣/١.

٤- الانتقال في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ١٠٢/١.

٥- طبقات الشافعيين، ٤٠/١.

سلك الشافعي رحمه الله في رحلته هذه طريق دمشق ماراً بنصيبين وحران ثم بيت المقدس وصــولاً إلــى مصر، ولم يدخل دمشــق مع كونه اجتاز بــلاد الشام من شرقها إلــى غربها، ومع ما كانــت تتميز به دمشق مــن كونها حاضرة من حواضر الإسلام والمــدن التي يؤمها العلماء من كل فجٍّ وصوب، ومع ذلك لم يمرَّ فيها رضي الله عنه، وهذا ما جعل ابن كثير رحمه الله يستغرب عدم دخولــه دمشق وعدم مروره بها حيث قال: ثم حسن فــي رأيه المصير إلى الديار المصرية فسافر إليهــا على طريق الشام، ويقــال: إنه اجتاز حرّان وأنه دخل بيت المقدس، وأما دمشق فلم أرَ أحداً ذكر أنه وردها، والحافظ ابن عساكر مع تحريره وكثرة اطلاعه ترجم للشافعي رضي الله عنه في التاريخ لمروره في الشام إلى الديار المصرية ولم يقع له أنه دخل دمشق وهذا عجيب[١].

وقــال عبــد الله بن عبد الرحمن الزجاج: رأيت الشافعــي بنصيبين قبل أن يدخل مصر فلم أره آكلاً بنهار ولا نائماً بليل[٢].

قال الشافعي: خرجت من بغداد وما خلفت فيها أفقه ولا أزهد ولا أورع من أحمد بن حنبل[٣].

وكان ممــن رافــق الشافعي في هذه الرحلة محمد الحنفي والعباســ بن موسى بن عيسى بن موســى بــن محمد بن علي بن عبــد الله بن العباس بن عبد المطلــب، وكان العباس قد استصحبه بمصر، وذلك سنة ثمان وتسعين ومائة[٤].

قال محمد الحنفي: خرجنا من بغداد مع الشافعي رضي الله عنه نريد مصر، فدخلنا حران، وكان قد طال شعره، فدعا حجاماً فأخذ من شعره فوهب له خمسين ديناراً[٥].

ولما قدم مصر أتاه والد ياسين بن زرارة القَتَباني الحميري فسأله أن ينزل عليه فأبى وقال: أريد أن أنزل على أخوالي الأزد فنزل عليهم[٦].

وكان نزوله على عبد الله بن عبد الحكم بن أعيُن إذ جاء من بغداد إلى مصر...[٧].

ولمــا استقــر الشافعي رحمه الله بمصر قال له عبد الله بــن عبد الحكم: إن أردت أن تسكن البلــد -يعني مصر- فليكن لك قــوت سنة، ومجلس من السلطان تتعزز به، فقال له الشافعي يا أبا محمــد من لــم تُعِزه التقوى فلا عزّ له، وقد ولدت بغزة، وربيــت بالحجاز، وما عندنا قوت ليلة وما

١- طبقات الشافعيين، ١/٤٠.

٢- البيهقي في المناقب، ١/٢٣٧-٢٨٤ – سير أعلام النبلاء ١٠/٨١.

٣- تاريخ بغداد ٤/٤١٩ – تهذيب الكمال ١/٤٥١ – سير أعلام النبلاء ١١/١٩٥.

٤- الانتقاء ١/١١٥.

٥- طبقات الشافعيين ١/٢٦، تاريخ دمشق ٥١/٢٧١.

٦- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ١/٦٨.

٧- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ١/١١٣.

بتنا جياعاً قط[١].

قـال اسماعيـل بـن يحيى المزني: قـدم علينـا الشافعـي، وكان بمصر ابن هشـام صاحب المغـازي، وكان عالـم مصر بالغريب والشعر، فقيل له: لو أتيـت الشافعي فأبى أن يأتيه، فلما كان بعـد ذلـك قيل له: لو أتيته، فأتـاه فذاكره أنساب الرجـال... فكان ابن هشام بعـد ذلك يقول: ما ظننت أن الله عز وجل خلق مثل هذا...[٢].

وقال الحميدي: خرجت مع الشافعي إلى مصر، وكان هو شاركنا في العلو ونحن في الوسط، فربمـا خرجتُ في بعض الليـل فأرى المصبـاح، فأصيح: يا غلام، فيسمع صوتـي، فيقول: بحقي عليـك ارْقَ، فأرقـى، فـإذا قرطاس ودواة، فأقول فيه: يا أبـا عبد الله، فيقـول: تفكرت في معنى حديث، أو مسألة، فخفت أن يذهب علي، فأمرتُ بالمصباح وكتبتُه[٣].

أقـام الشافعي بمصـر حوالي خمس سنوات أكَـبّ فيها على التأليـف والتعليم واجتمع حوله العلماء وطلاب العلم كل منهم يظفر منه بما يريد ويقطف من ثمار علمه ما يحلو له ويطيب، فقد كوّن مذهبه الجديد في مصر في هذه السنوات التي أقامها فيها وألف في ذلك كتبه الجديدة كلها.

قـال النـووي: صنَّف كتبـه الجديدة كلهـا بمصر، وسار ذكره فـي البلدان، وقصـده الناس مـن الشام واليمـن والعراق وسائر النواحي والأقطار للتفقه عليـه والرواية عنه، وسماع كتبه منه، وأخذهـا عنه، وساد أهل مصر وغيرهـم، وابتكر كتباً لم يُسبَق إليها، منهـا: أصول الفقه، وكتاب القسامة، وكتاب الجزية، وكتاب قتال أهل البغي وغيرها[٤].

وكان من أبرز من أخذ عنه رحمه الله في مصر من العلماء وطلاب العلم كل من:

أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسي (وهو من تلاميذ مالك) ت٢٠٤هـ

أبو عبد الله أحمد بن يحيى الوزيري ت٢٠٥هـ

عبد الله بن عبد الحكم بن أعين، ت٢١٤هـ

أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي ت٢٣١هـ

ابن الشافعي أبو عثمان محمد بن محمد بن ادريس الشافعي ت٢٣٢هـ

عبد العزيز بن عمران بن أيوب بن مقلاص ت٢٣٤هـ

١- طبقات الشافعيين ١/٢٤.

٢- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ١/٩٣.

٣- طبقات الشافعيين ١/٤٠.

٤- تهذيب الأسماء واللغات – فصل في مولد الشافعي ١/٤٨.

عمر بن سواد بن الأسود ت٢٤٥هـ

هارون بن سعيد بن الهيثم ت٢٥٠هـ

أبو ابراهيم اسماعيل بن يحيى بن عمرو بن مسلم المزني ت٢٦٤هـ

أبو موسى يوسف بن عبد الأعلى الصدفي ت٢٦٤هـ

حرملة بن يحيى بن حرملة بن عمران بن قراد التجيبي ت٢٦٦هـ

بحر بن نصر بن سابق الخولاني ت٢٦٧هـ

محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ت٢٦٨هـ

الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي ت٢٧١هـ

قحزم بن عبد الله بن قحزم الأسواني ت٢٧١هـ[٥].

هل كان للشافعي رحمه الله إلى مصر رحلة واحدة أم رحلتان

يجمع كل من ترجم للإمام الشافعي رحمه الله أنه في السنة التاسعة والتسعين بعد المائة الأولى للهجرة خرج من العراق قاصداً مصر ليستقر فيها بقية حياته.

ولكن هل خرج منها بعد وصوله إليها ليعود إليها مرة أخرى؟ هناك من يقول نعم إنه خرج منها إلى مكة ثم عاد إليها مرة ثانية من مكة، فقد روي عن المزني قال: قال الحميدي: لما خرج الشافعي من مكة إلى مصر وفاتنا بنفسه خرجنا خلفه إلى مصر[٦].

يجيب عن هذا السؤال ابن كثير رحمه الله حيث قال: وقد زعم (الحافظ ابن عساكر) أنه دخل مصر مرتين، المرة الأولى على طريق الشام من العراق أيام محمد بن الحسن، والثانية من مكة صحبه عبد الله بن الزبير الحميدي، وفي هذا نظر والله أعلم، وإنما حمله على هذا ما رواه أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم بسنده إلى الحميدي قال: كان أحمد بن حنبل قد أقام عندنا بمكة على سفيان بن عيينة: فقال لي ذات ليلة: ها هنا رجل من قريش له بيان ومعرفة فقلت له: من هو، قال: محمد بن إدريس الشافعي... وخرجت مع الشافعي إلى مصر...[٧].

قلت: يضاف إلى ما ذكره ابن كثير رحمه الله: أنه تقدم أن الشافعي بعد خروجه إلى العراق من مكة لم يطل بقاؤه في العراق وإنما بقي أشهراً ثم غادرها إلى مصر ويظهر أن الحميدي بقي في مكة بعد خروج الشافعي منها إلى العراق ثم لما أراد الالتحاق به كان الشافعي قد خرج إلى

٥- الانتقال في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ١/١٠٩-١١٥.

٦- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ١/٨٩.

٧- طبقات الشافعيين ١/٣٩-٤٠

مصر فخرج خلفه إليها ولربما يوافق هذا ما ذكره الحميدي من قوله: لما خرج الشافعي من مكة إلى مصر وفاتنا بنفسه خرجنا خلفه إلى مصر، والله أعلم.

رحلته رضي الله عنه إلى الدار الآخرة

بعد هذا العمر المبارك والتاريخ الحافل بالعلم والخير والعطاء، كان الإمام الشافعي رحمه الله بدأ يشعر بأن الوعدَ الحق له بدأ يقترب منه، وأنَّ أجله قد دنا منه فبدأ يحس بأنه يلوح له في الأفق، وما قوله:

فوالله ما أدرِي أللفوز والغنى   أساق إليها أم أساق إلى القبر

إلا شيء من هذا الإحساس.

ثم إنه رحمه الله أثناء إقامته بمصر أوصى في أمر ولده وإنفاذ وصيته إلى عبد الله بن عبد الحكم القرشي[١].

قال المزني: دخلت على الشافعي رضي الله عنه في مرضه الذي مات فيه، فقلت: كيف أصبحت يا أبا عبد الله: قال: أصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقاً، ولسوء أفعالي ملاقياً، وبكأس المنية شارباً، فوالله ما أدري أروحي إلى الجنة تصير فأهنِّيها أو إلى النار فأعزِّيها ثم بكى وأنشأ يقول «من الطويل»:

إليك إلَـهَ الخَلْـقِ أرفَـعُ رغبتـي   وإن كنتُ يا ذا المنّ والجود مجرماً
فلما قسا قلبـي وضاقت مذاهبي   جعلت رجائي نحو عفوك سالماً
تَعاظمني ذنبي فلما قَرَنته   بعفوك ربِّي كان عفوك أعظما
فما زِلْتَ ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل   تجودُ وتعفو منّةً وتكرما[٢]

وفي مساء يوم الخميس ليلة الجمعة في آخر يوم من شهر رجب سنة أربع ومائتين للهجرة أسلم الإمام الشافعي رضي الله عنه الروح إلى خالقها وتم دفنه بعد صلاة العصر من يوم الجمعة غرة شهر شعبان من هذه السنة.

وقيل إن وفاته كانت يوم الجمعة.

قال الربيع: توفي الشافعي ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة بعدما صلى المغرب آخر يوم من رجب ودفناه يوم الجمعة، وانصرفنا فرأينا هلال شعبان سنة أربع ومائتين، وصلى عليه السَّرِيّ

١- البيهقي في المناقب ٧٧/١ – توالي التأسيس ص٤٥ – مناقب الأئمة الأربعة ٢٠٣/١

٢- مختصر تاريخ دمشق ٢٤٣/٢١ – السلوك في طبقات العلماء والملوك ٣١١/١.

بن عبد الحكم أمير مصر[١].

قال ابن عبد البَرّ في ترجمته لعبد الله بن عبد الحكم: وكان صديقاً للشافعي وعليه نزل إذ جاء من بغداد إلى مصر وعنده مات الشافعي ودُفِن في وسط قبور بني عبد الحكم بمصر[٢].

قال الربيع بن سليمان المؤذن: (مات –أي الشافعي- يوم الخميس ليلاً وهو ابن خمس وخمسين سنة في آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين...).

وروي عنه أنه سئل عن سن الشافعي فقال: نيف وخمسون سنة[٣].

وذكر ابن كثير رحمه الله أن: عمره يوم مات أربع وخمسون سنة[٤].

قلت: تقدم أن ولادة الإمام الشافعي رحمه الله تعالى كانت سنة مائة وخمسين من الهجرة، وأن وفاته كانت سنة أربع ومائتين للهجرة، وبالتالي فإن رحلة الإمام الشافعي إلى الحياة الدنيا قد استغرقت أربعاً وخمسين سنة هجرية طاف فيها معظم حواضر العالم الإسلامي ومدنه الهامة في ذلك العصر، فدرس ودرّس والتقى بعلماء العالم الإسلامي، وأخذ عنه طلاب العلم وجمع كتب العلم ثم ألّف كتباً في العلم لم يسبق إليها وأنشأ مذهبه القديم، ثم مذهبه الجديد كل ذلك خلال هذه الفترة الزمنية التي تعتبر قصيرةً إذا ما قورنت بأعمار غيره إلا أن الله تعالى بارك له في عمره ووقته وحياته ولعل ذلك بما كان يتحلى به الإمام الشافعي رحمه الله من ورع وتقوى لله تعالى وإخلاص وتفانٍ في خدمة دينه سبحانه، رحم الله الإمام الشافعي وجعله في عليين.

١- تاريخ دمشق ٤٣٢/٥١ – الانتقاء ١٠٢/١

٢- الانتقاء ١١٣/١

٣- مختصر تاريخ دمشق ٤١٢/٢١ – سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٨

٤- طبقات الشافعيين ٤٦/١